

ديانة الطبقة الحاكمة في الدولة الأخمينية (٥٥٩ - ٣٣٠ ق.م)

بين التفريد والتعددية

أ.د. سعد عبود سمار
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
sabbood@uowasit.edu.iq

الخلاصة :

سننطلق في هذه الدراسة إلى ديانة الطبقة الحاكمة الأخمينية، ومناقشة الآراء المختلفة التي وصفت ما كانت عليه هذه الديانة، منها أنهم كانوا على الديانة الزرادشتية، ورأي يقول أنهم لم تكن لهم ديانة رسمية محددة، وإنما عبدوا آلهة متعددة. فهم تارة أفردوا الإله الرئيس لهم أهوارامزدا مع الاعتراف بالآلهة أخرى لم تذكر، وإنما ورد ذكر عام لها، وتارة أخرى أفردوا الإلهة أناهيتا على حساب الآلهة الأخرى. وتارة أخرى أختفى ذكر الإله أناهيتا وبقي ذكر الإلهين أهوارامزدا وميثرا.

الكلمات المفتاحية: الدولة الأخمينية ، ديانة، آلهة

The maintenance of the ruling class in the Achaemenid state Between singularity and pluralism (559– 330 BC)

Prof. Saad Abood Sammar

Wasit University / College of Education for Humanitie.

Conclusion:

In this study, we will discuss the religion of the Achaemenid ruling class, and discuss the different opinions that described what this religion was, including that they were on the Zoroastrian religion, and an opinion says that they did not have a specific official religion, but worshiped multiple gods. At times they spread the main deity to them, Ahwaramzda, while recognizing other deities that were not mentioned. Rather, a general mention was made of them, and at other times, the deities spread Anahita at the expense of the other. At other times, the remembrance of the god Anahita disappeared, and the remembrance of the two deities remained Ahwaramzada and Mithra.

Key words: Achaemenid state, religion, gods

من الصعب بمكان تحديد دين معين للفُرس الأحمينيّين؛ لأنّه لن تتوافر لدينا شواهد تُشير إلى وجود مؤسسة دينية تتبع دين رسمي للدولة، وتبقى معلوماتنا عن ديانة الملوك الأحمينيّين مصدرها الرئيس الكتابات الملكية للملوك الأحمينيّين وهي نقوش مسمارية تُعدّ تصريحات ملكية صادرة عن الملك نفسه .

وتتضح من كتابات الملوك الأحمينيّين أنّ الإله آهورامزدا كان على رأس الآلهة التي تدين بها الدولة الأحمينية بدلالة ما جاء في لوح الملك داريوش (دارا الأول ٥٢٢-٤٨٦ ق.م) (DB-11-16) : " آهورامزدا هو مَنْ وهبني هذا المُلك ، لقد اعانني آهورامزدا على هذا المُلك ، وبإرادة آهورامزدا أنا امتلك السلطة " (١) . ممّا لا شك فيه تتوافر لدينا مادة آثارية وتاريخية تعطينا تصور عمّا كان عليه دين الملوك والطبقة العامة أي الدّين الخاص، أما عن ديانة الإيرانيّين في العصر الأحميني فلم تزودنا المصادر بما يكفي لتعطينا تصور كامل عما كانوا عليه.

وثمّة بُد من وضع الميثولوجيا في أطرافها التاريخي، وذلك بالتطرق إلى الديانة التي كان عليها الملوك الأحمينيّين، التي اختلف فيها، إذ ساد وهمٌ بين اوساط بعض الكتاب(٢)، مفاده أنّ السّمة الدّينية الشائعة للأحمينيّين هي الزرادشتية، ولكن في هذا المبحث سننُتّب الضّد من ذلك، بأنّ ديانة الملوك الأحمينيّين لم تعرف التوحيد، أي عبادة إله واحد هو آهورامزدا، ولم يرد في كتابات الملوك الأحمينيّين أيّة إشارة إلى النبي زرادشت، من هذا المنطلق سيتم النظر إلى ديانة الملوك الأحمينيّين التي لم تستقر على بُعدٍ ديني واحد، وإنّما تنقلت في مرحلة التأسيس من اللادّين بدليل كان ملكهم المؤسس كورش لم يثبت أنّه كان متديناً، وإنّما سياسي برغماتي وظّف الدّين لمصلحته بما يخدم سياسته التوسّعية، إلى أن اتسمت الديانة فيما بعد بين التفرّد والتعدّد.

وثمّة آراء مختلفة بشأن المعتقد الدّيني السائدة في العصر الأحميني، لذا نحاول ذكر قسم من هذه الآراء بصورة مختصرة. إذ يعتقد كليمان هوارت (Clement Huart في كتاب) (إيران وتمدن إيراني) من المؤكّد أنّ الشعوب الميديّة والفارسية في الدولة الأحمينية لديها ثلاث ديانات منفصلة، أولاً: دين الملوك، الذي يشهد عليه النصوص الواردة في النقوش المختلفة التي تركها لنا الملوك الأحمينيّين، ثانياً: هو دين العامة الذي لم يكن بين أيدينا سوى القليل من المعلومات حول هذا الموضوع ، وهذه المعلومات القليلة هي من روايات هيرودوت. أمّا الديانة الثالثة: فهو الدين الخاص عند المغان أو الكهنة ، الذي لا نعرف عنه سوى التراتيل المحفوظة في إفيستا Avesta ، غير ذلك لم تكن لدينا معلومات (٣).

وعلى الرغم من أنّ الإله آهورامزدا كان الإله الرئيس للدولة الأخمينية، لكن هناك آلهة ذكرت إلى جانبه، والملاحظ أنّ هذه الدولة المتزامية الأطراف التي أسسها كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ ق.م)، ومنحها دارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م) الوحدة تحت حكمه، والتوسع في حدودها، ضمّت أقوام مُتعددة سُمح لهم بممارسة معتقداتهم الدينيّة وطقوسهم. ولم يكن لدى الملوك الأخمينيين تعصب ديني، فنظروا إلى اتباع الديانات الأخرى نظرة احترام. على الضدّ من المعلومات التي اوردها الكتاب اليونان عن عقائد الأخمينيين التي كانت تعوزها الدقة والموضوعية. وقد وصلتنا معلومات دقيقة عن عقائدهم من الكتابات على الألواح الأخمينية ومستنداتهم، بحيث إنّ هذه الكتابات لم ترد فيها أيّ ذكر للنبي زرادشت، وأصبح لدينا الدليل الكافي بالاعتقاد أنّ الديانة لدى الأخمينيين كانت متفاوتة مع الديانة الزرادشتية، فلم يرد أيّ ذكر للمعتقدات الزرادشتية. بدلالة تكرار عبارة أنّ آهورامزدا ليس هو الخالق الوحيد مرات عدّة، وإنّما هناك آلهة أخرى معه، فضلاً عن عدم اغفالهم لذكر عدد من الآلهة.

اختلفت آراء الباحثين في المعتقد الديني الذي كان عليه الملك كورش الثاني، فهناك من يرى أنّه على الديانة الزرادشتية^(٤). وفي رأي أنّه على الديانة الآرية القديمة التي تُقدّس قوى الطبيعة (الشمس، والقمر، والنار، والماء، والهواء)^(٥). ولم يُعرف عنه أنّه كان زرادشتيا بدلالة عدم ورود اسم الإله آهورامزدا في كتاباته، وكذلك اسم زرادشت، فضلاً عن أنّه قدم القرايين وبنى المذابح التي لا تجيزها الديانة الزرادشتية، يُضاف إلى ذلك أنّه لم يُدفن على الطريقة الزرادشتية فيما يُعرف بأبراج الصمت^(٦)، وإنّما كان له قبر في عاصمته باسركارد، بدليل وصيته التي جاء بها: "حينما يكون جثماتي بلا روح، وأنا غير موجود بالدنيا، حينئذ سارعوا وادفنونني في التراب"^(٧)، وهذا يخالف المعتقدات الزرادشتية التي تُعدّ التراب من عناصر الطبيعة المقدّسة، لذا فإنّ دفنه في التراب يعني تلوّثه، وهذا ما تُحرّمه تلك الديانة.

وكانت الآلهة (آهورامزدا، وميثر، وأناهيتا) محط تقيّد من قبل كورش الثاني^(٨). بدلالة تقديمه القرايين من الخيول البيضاء للإله ميثر، إذ كانت الخيول تُقدّم قرباناً للشمس في أثناء الأعياد التي يحضرها الملك وينحوّ دوري، وفي الغالب أنّ الشمس ترمز إلى الإله ميثر^(٩). ومّا يؤكّد تقيّد لآلهة أخرى فضلاً عن الإله (آهورامزدا) وعبادتها، هو بناء معبد للإلهة (أناهيتا) في عاصمته باسركارد قرب عين ماء عرفت بـ (عين أناهيتا)، وقربا من الضفة الغربية لها يقع محرابها المقدس ذو المذابح المقدّسة المبني من الحجر الجيري الأسود، وهو صخرة مفردة وضعت فوقها صخرة

أخرى منحوتة بسبع درجات، مؤدية إلى أعلى المحراب، وهناك يوجد مذبح آخر للإله (أهورامزدا) (١٠). من كل ما تقدّم تتأكد المعتقدات الدنيّة التي كان عليها كورش الثاني في بلاد فارس، وهي تقدّيسه للآلهة الآرية.

لم يعرف كورش له دين محدد، يبدو وكأنّه بلا دين، حينما وجد أن تبني دين معين سيُضعف من مشروعه التوسعي، لأنّه سيخلق تقاطعات مع المعتقدات الدينية للشعوب التي يريد أن يوسع دولته على حسابها. لذا حينما أحتل بابل، أظهر الاحترام والتقدير كُله لإله البابليين (مردوخ)، وحينما أحتل آشور مجدّ إلههم آشور، وحينما أحتاج اليهود في مشروعه الطامح لاحتلال مصر، وما أدوه من دور ساعده في تعجيل خطاه لاحتلال بابل، لذا مجد إلههم يهوه، حتّى بدا وكأنه على دينهم، وفي احتلاله لآسيا الصغرى (ليديا، والمدن الأيونية الأخرى)، احترم إلههم (أبولو). لذا اتسمت عهد كورش الثاني بأنّه بلا دين. وبدى متسامحاً دينياً مع الشعوب التي خضعت لسيطرته، على وفق ما تملّيه مصلحته السياسية. فلم يتبن دين معين، ويدعوا له. وكان يسير بمبدأ أن كلّ الآلهة التي صادفته مُقدّسة، قدّم لها القرابين، أولاً: أجلاً لها، وثانياً: لكسب ودّ عابديها.

أما قمبيز (٥٣٠ - ٥٢٢ ق.م) فلا يُعرف إلا القليل عن دين هذا الملك. فهناك رواية أوردها هيرودوت عن عدم احترام هذا الملك للنار المُقدّسة بالعبث بجثة الملك المصري أماسيس (رعمسيس)، على الرغم من استدرارك هيرودوت لروايته تلك بقوله: إنّ ذلك من أكاذيب المصريين الذين أرادوا تحسين الأحوال (١١). وهذا الأمر يتناقض مع عقيدة الفرس واحترامهم للنار وعدّها في مصاف الآلهة، وأن تلوث النار بإلقاء الجثة فيها يُعدّ من اعظم الذنوب لدى الفرس الأخمينيين، وما ورد كذلك في إفستا. وثمّة دليل آخر يُبين دين قمبيز هو تمثال نائوفوري (Naophoric) الموجود في متحف فانتيكان. وعلى وفق ما يبدو واضحاً من خلال هذا النقش بدخول المرتزقة الى معبد الإلهة نيت (Neit) في سايس وقيامهم ببعض الأعمال غير اللائقة، ولكن قمبيز أمر بتطهير المعبد وإخراج جميع الأجانب منه، وأعاد المعبد لما كان عليه. ثم ذهب الملك شخصياً الى سايس وارجع جميع الهدايا الخاصة بالآلهة نيت اوزيريس. وعند تمثالها صلى قمبيز بخشوع، مثله مثل الملوك المصريين، وقدم كما يُقدّم باقي الملوك مجموعة من الهدايا الثمينة إلى نيت وباقي آلهة سايس (١٢). وهذا ما يؤكد أنّ الملك قمبيز سار على سياسة والده (كورش الثاني) الدنيّة، فلم يكن على دين معين، وإنّما اقتضى واقع الحال أن يُساير مصالحه بعيداً عن الدين والتدين.

ويبقى الاعتراف الأكبر لملوك الدولة الأخمينية لا سيما الأوائل منهم، بأن سلطتهم جاءت من أعظم الآلهة (أهورامزدا)، وإنهم مدينون له، فهو الذي منحهم الصفة المشروعية للحكم، فاستعان الملك دارا الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م)، بالإله أهورامزدا من أجل أن يُحقق النصر له ولعائلته الملكية بحسب نقش دارا الأول (Dpd) في قصره في برسبوليس البند (٣) جاء فيه:

"إن أهورامزدا مع كل آلهة البيت الملكي سيساعدونني، وهذه الأرض محمية من قبل أهورامزدا من الأعداء والجفاف والكذب، ولا تصلها جيوش الأعداء، ولا تصاب بالقحط والكذب، هذا ما اطلبه من أهورامزدا وآلهة البيت الملكي"^(١٣). وهنا يُمكن عدّ أهورامزدا من آلهة الحرب الذي استعان به داريوش (دارا) الأول مع آلهة أخرى لم يسمّها لنا. وفي هذا الدعاء طلب من أهورامزدا أن يحميه، وأن يحمي البيت الملكي، وفارساً من العدوان الخارجي، والثورة (الكذب)، فالملك بمثابة الوسيط بين عالم الآلهة وعالم البشر، فيفضل الإله أهورامزدا حصل على الفضائل الملكية: المحارب الصالح (الذي يطارد جيش الأعداء)، والملك العادل الذي يحارب الكذب، وحامي الأرض والفلاحين^(١٤).

إنّ ما تظهره النقوش الملكية، تُبيّن كيف كانت الحياة اليومية الدينية في الدولة الأخمينية في كثير من الأحيان مشروطة أو متأثرة بالظروف السياسية. وهناك مَنْ يرى أنّ إعلان المؤسس الحقيقي لهذه الدولة (دارا الأول ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) بفضل الإله أهورامزدا على دولته وعليه؛ من الممكن عدّه عملاً من الدعاية السياسية، لإضفاء الشرعية على صعوده المُجحف إلى العرش، وهو ما يُقدم أمراً مبنكراً للوحدة بين الشعب الفارسي بعد المُدة الفاصلة لعهد (Bardiya) بارديا^(١٥).

واستمر ذكر اسم الإله الأوحد أهورامزدا في النصوص الملكية الأخمينية في عهد أحشويرش الأول (٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م) بدلالة النص القائل: "الربّ الأكبر أهورامزدا، الذي خلق هذه السماء وخلق البشر، وبتّ في الناس المسرة، وجعل خشيارشا ملكاً وملك الملوك وحاكم الحكام"^(١٦). ولكن من الشواهد التي تمنحنا اعتقاداً نسبياً مفاده، إنّ عبادة الإلهة (أناهيتا) عُرفت في العصر الأخميني في عهد الملك أحشويرش الأول أيضاً، إذ بعد إخماد ثورة بابل الثالثة (حزيران عام ٤٨٢ ق.م) في عهده، على أثر ذلك دمر الملك معابد المدينة كلّها^(١٧)، ولكي يُمارس أهل بابل عبادة بعض من آلهتهم، استمروا بعبادة الإلهة عشتار، ولكن بمسمى آري (أناهيتا)، تمويها للأخمينيين على أثر تشدهم الديني بعد ثورات أهل بابل المتكررة، لا سيما أنّ بداية وجود معابد هذه الإلهة كان في بابل، ولكن في رأي آخر - هو الأرجح للصواب - نُسب وضع مجسمات (أناهيتا) فيها أي (بابل) من قبل أردشير الثاني (٣٥٨ - ٣٣٨ ق.م)، وهذا ما سنفصل القول به لاحقاً.

وفي العودة إلى ما ورد في النصوص الملكية للملوك الأوائل ولا سيما دارا الأول، وأحشويرش (خشيارشا) الأول عن ذكر آهورامزدا و(الآلهة ملكية أخرى) إلا أنه لم تُحد اسمائها، الراجح في ضوء هذه النصوص أن مصطلح (الآلهة الأخرى) قد تغيّر منذ عهد الملك أردشير الثاني بعد أن كان الملوك الذين سبقوه، والأسرة الحاكمة يستمدون العون والمدد من آهورامزدا الإله المقتر فضلاً عن الأرباب الأخرى، إذ إنه في عهد أردشير الثاني سُميت هذه الآلهة الأخرى بمسمياتها وهي: الإلهة آناهيتا، والإله ميثرا، والجدير بالذكر أن اسم آناهيتا في كتابات أردشير الثاني جاء بعد آهورامزدا مباشرة، وقبل اسم ميثرا؛ دلالة على عظمة هذه الإلهة الأنتى ومكانتها المتقدمة، فقد ورد اسمها في كتيبة أردشير الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩ ق.م) في همدان (A₂Ha) بما نصّه:

"أردشير الملك الكبير، ملك الملوك، ملك الممالك، ملك هذه الأرض بن دار الثاني، ودارا هو ابن أردشير، وكان ملكين، وارشدي ابن خشيارشا وهو ابن دارا الأول، وكلهم ملوك، ودارا ابن ويتشاسب الأخميني، وأن هذا القصر الذي بنيته بإرادة من آهورامزدا وآناهيتا وميثرا، وأن آهورامزدا وآناهيتا وميثرا يحفظوننا من كل بلاء، وأن الذي بنيته لم يعرضوه للفناء والدمار" (١٨).

وفي نص آخر ورد في لوحة أردشير الثاني (الشوش) A₂Sd :

"أنا أردشير الملك الكبير، ملك الملوك، ملك الممالك، ملك على الأرض، ابن دارا الملك الأخميني، أردشير الملك، يقول: بإرادة آهورامزدا بنيت هذا القصر في حياتي كمأمن مليء بالراحة، حفظ آهورامزدا، آناهيتا، وميثرا ما قمت به من كل بلاء" (١٩).

إنّ النقوش الملكية لهؤلاء الملوك التي عُثر عليها في همدان (A₂Hb، A₂Ha)، وفي شوش (A₂Sd، A₂Sa)، وبرسيبوليس (A₃Pa)، هي تكرر الصيغة التقليدية للتضرع من أجل الانتفاع بحماية أهوارا مازدا للعرش الأخميني، ولكنّ الحداثة تكمن في أنّ الجملة الأخيرة ذكرت اثنين من الآلهة الجديدة (آناهيتا، وميثرا) التي تُعزّز هذه السلطة. وأهم شاهد يؤكد تسمية هذه الآلهة الأخرى هو ما جاء بالنقش المرموز (A₂Sa) الذي خلد ذكرى استعادة إعمار قاعة الجمهور (أبادانا) (٢٠) في قصر شوش/سوسه من قبل (أردشير الثاني) ما نصّه:

"أرتحشاشتا (أردشير الثاني)، الملك العظيم، ملك الملوك، ملك جميع الأمم، ملك هذا العالم، ابن الملك داريوس [توثوس الثاني]، داريوس ابن الملك أرتحشاشتا [ماكروشير أي ذو الأيدي الطويلة]، ارتحشاشتا ابن الملك خشيارشا، خشيارشا (أحشويرش الأول) ابن الملك داريوس (دارا

الأول)، داريوس ابن هستااسبس، الأخميني، يقول: "إنَّ سَلْفِي داريوس [الأول الكبير] أنشأ قاعة الجمهور هذه [أبادانا]، ولكن في عهد جدي أرتحشاشتا، تم حرقها. ولكن بنعمة آهورامزدا، وأناهيئا، وميثرا، تمكنت - أنا - من إعادة إعمار قاعة الجمهور هذه. قد يحموني آهورامزدا، وأناهيئا، وميثرا ضدَّ كلِّ الشرور، وأتمنى ألا تُدمر ولا تُضَرَّ ما قد بنيته".

أو لننتذكر بناء جزء من القصر نفسه الذي ورد بالنقش المرموز (A2Sd)، وفيه إشارة إلى الآلهة الثلاث بما نصه:

"أنا أرتحشاشتا، الملك العظيم، ملك الملوك، ملك جميع الأمم، ملك هذا العالم، ابن الملك داريوس، الأخميني. ويقول الملك أرتحشاشتا: بنعمة آهورامزدا، لقد بنيت هذا القصر، الذي بنيته في حياتي كمنتجع ليدخل عليَّ السرور [جنة]. يا آهورامزدا، أناهيئا، وميثرا، أحموني وأحموا ابنائي من جميع الشرور!".

وفي العودة إلى بواعث توظيف عبادة الإلهة أناهيئا سياسياً، وفي ضوء هذه النصوص يعتقد (كريشمن)، أنَّ أردشير الثاني هو مَنْ ادخل عبادة هذه الإلهة إلى إيران الأخمينية، وأمر بإقامة مجسمات لها في معابد شوش، برسبوليس، هكمتانا(همدان)، بابل، دمشق، سارد، وبلخ؛ من أجل دفع شعب الدولة الأخمينية إلى مُعتقد مُشترك الذي كان له آثارٌ منذ أقدم الأزمان من بين جميع شعوب آسيا الصغرى^(٢١). ويبدو أنَّ هذا الاحتمال ضعيف؛ لأنَّ أردشير الثاني كان يسير على نهج سلفه في عبادة الإله الأكبر آهورامزدا بيد أنه حاول أن يُضعف ارتباطه الديني بـ (آهورامزدا)، ويسعى بأنَّ يحلَّ محلَّه الآلهة الإيرانية القديمة في المناطق التي ذُكرت في أعلاه، فضلاً عن أسباب أخرى سنأتي على ذكرها.

وهناك أكثر من سؤال يُؤسس على ما تقدم، مفاده هل أنَّ أناهيئا قد اخذت شكلاً خاصاً من بين الآلهة التي كانت تُعبد محلياً؟ وما الأسباب التي دعت إلى عبادة أناهيئا وتقدّسها في الوقت الذي كان الفرس والميديين يُحرمون إقامة المجسمات وتقدّسها، وكانت رسماً قطعياً بينهم؟ كذلك، ما الفرق بين المدن التي أُصدرت لها الأوامر بإقامة مجسمات لـ (أناهيئا)، التي عليها أن تُقدّسها، من دون المدن الأخرى، بتعبير آخر ما البواعث التي أخذت بالحسبان لوضع هذه المجسمات في هذه المدن من دون سواها؟ ، ومن دون أي تردد يُمكن القول: إنَّ الملك أردشير الثاني قصد في ذلك الإقلال من شأن الإله الرسمي (آهورامزدا)، عندما أشرك معه الآلهة الأخرى. ولأجل الإجابة عن

هذه التساؤلات، نسمع ما يقوله كزنفون^(٢٢): في معركة كوناكسا^(٢٣) التي دارت بين أردشير الثاني وأخيه كورش الصغير في صيف عام (٤٠١ ق.م)، إذ رحل كورش من تبسكك (في سوريا) مقابل نهر الفرات، التي تبعد عن النهر مسافة (٧٠٠ م)، وكان قائد قوات أردشير الثاني هو ابروكومس الذي أمر بإحراق كل الجسور على النهر إلا أن كورش تمكن من عبور نهر الفرات مع كل جنوده من منطقة واسعة من النهر، وأن ارتفاع مياه النهر لم يصل إلى صدر الرجل، ويضيف كزنفون: كان أهالي تبسكك ليس بمقدور أي شخص منهم العبور من النهر قبل مجيء كورش وهم مشاة، واللافت للنظر هو نزول مستوى مياه نهر الفرات إلى حد كبير علماً أن نهري دجلة والفرات كانا من الأنهار التي تمتاز بوفرة المياه، وصلاحها للملاحة، وأن مدينة تبسكك من المدن الواقعة على الفرات، وهي من الموانئ المهمة على النهر^(٢٤)، فلماذا نزل مستوى مياه النهر إلى ذلك المستوى المُنْدني في عهد أردشير الثاني بحيث أن كورش الصغير وقواته عبروا النهر وهم مشاة؟ وأن مياه النهر لم تصل إلى صدر رجاله، والإجابة عن ذلك يجعلنا نفترض أن في هذا العام حل الجفاف في نهر الفرات والمناطق المجاورة له؛ مما دفع الملك أردشير الثاني أن يأمر بإقامة مجسمات ل (أناهيتا) في بابل، والمناطق المار ذكرها؛ لأنها الإلهة المسؤولة عن وفرة المياه التي انخفضت مناسبتها بسبب الجفاف الذي حلّ بنهري دجلة والفرات؛ القريبين من بعضهما، وينبعان من السلاسل الجبلية الجنوبية لتركيا، وإن نهر دجلة هو الآخر شهد نقص في المياه إبان عهد أردشير الثاني، لذا فإقامة مجسمة ل (أناهيتا) في بابل كان بسبب تعرّضها للقحط والجذب آنذاك؛ ولأن الإلهة أناهيتا هي المكلفة بالمياه والأنهار. وأن مدن شوش واكباتانا نتيجة لقربهما من بابل؛ كانتا من المدن المشمولة بالأزمة، ومُتعرضة للخطر، لذا كان لزاماً على تلك المدن إقامة مجسمات للإلهة السيدة أناهيتا على أرض مُدنها، أمّا بقية المُدن التي وُضعت فيها مجسمات للإلهة أناهيتا فهي: سارد، ودمشق، وبرسيبوليس، وباخترش، على الرغم من أنها لم تكن في معرض الخطر، فلم تكن في أزمة؛ إلا أن عبادة أناهيتا وإقامة المجسمات لها في المدن التي سبق ذكرها؛ بسبب ما مرّت به الدولة من قحط وجذب في عهد أردشير الثاني لمدة عشر سنوات^(٢٥)؛ لذا تسلمت هذه المدن الأوامر بعبادتها في معابد وضعت فيها مجسماتها، وهذا يُشكل انعطاف كبيرة في المعتقدات الدينية الإيرانية؛ خلافاً لما هو معتاد بأن العبادات كانت تجرى في فضاءات مفتوحة، لذا شهدت عدّة مُدن بتجديد طقوسها، وذلك في بناء معابد ل (أناهيتا). وبات من المؤكد أن أردشير الثاني بذكره ل (أناهيتا وميترا) إلى جانب آهورامزدا قد أدّى إلى إضعاف الديانة الزرادشتية، حتّى إنّه بعد هذا الإجراء لا يُمكن التكلم عنها.

إنّ المعلومات المذكورة آنفاً التي قدّمها بروسوس عن مرسوم أردشير الثاني المتعلق بإقامة تمثال آناهيتا، من الممكن أن تؤكد أنّه ثمة نيةً محددة لتقديم آناهيتا؛ لكونها المعبود الملكي. ولعل ارتفاع المكانة الخاصّة للإلهة آناهيتا راجع إلى التأثير الذي مارسه الملكة الأم باريساتيس (أم الملك أردشير الثاني، التي ترددت إلى بابل وعاشت فيها)، التي ربّما كانت تعتقد بالثقافة التآلفية بين آناهيتا- عشتار داخل العائلة المالكة.

ويُمكن النظر للتوحيد بين ميثرا وآناهيتا في نطاق الآلهة التي تدعم علناً الملكية، التي تتضح من النقوش التي سبق أن تمّ التطرق إليها. إذ يُعدّ هذا أيضاً عملاً سياسياً متعمداً لا يُمكن أن يتفادى سياق عدم الاستقرار والحاجة اللاحقة إلى المزيد من الدعم السياسي والشعبي، مع أنّه لا يستبعد المشاعر الدنيّة المشروعة التي تتسع لعرشي هذين المعبودين. وإذا التمسنا سبباً آخر لذكر اسماء هذه الآلهة - أي الآلهة الأخرى- وعُدّت تجديداً دينياً بدأ منذ عهد أردشير الثاني، إلا أنّ الأمر لم يستمر في عهد ولده أردشير الثالث (٣٥٩-٣٣٨ ق.م) الذي تولّى الحكم من بعده، إذ لم يأت ذكر ل (آناهيتا) في الواحه الكتابية، ففي آخر لوح أحميني في تخت جمشيد عائد للملك أردشير الثالث^(٢٦)، إذ لم نقرأ اسم الإلهة آناهيتا في هذا اللوح الذي ذكر فيه أردشير الثالث (٣٥٨-٣٣٨ ق.م) كل من آهوارمزدا وميثرا إذ طلب حمايتهم وحفظهم^(٢٧). وبهذا ارتقت مكانتهما في عهده على حساب آناهيتا.

إنّ اختفاء اسم آناهيتا، في النقوش المحفوظة للملك أردشير الثالث (A3Pa)، وفي نقوش يظهر فيها فقط اسم آهوارمزدا (A2Hc و A2Sc)، أو ميثرا (A2Hb) فقط، ربما متأتّ من تنازلات متتالية وردود فعل للضغط الذي مارسه الملك؛ لكونه حصيلة التعبير النهائي عن النزاع الذي كان يجري تسويته في مكان آخر. وانتفاء الحاجة السياسيّة التي تُوّطر الدعاية السياسيّة له.

الخاتمة:

- ١- لم تعرف الطبقة الحاكمة الأخمينية دين رسمي لها.
- ٢- كان الإله أهوارمزدا على رأس الآلهة التي تدين بها الدولة الأخمينية، وأن سلطة ملوكها جاءت من هذا الإله، وهذا الاعتراف جاء منذ عهد الملك دار الأول.
- ٣- لم يعرف للملك كورش الثاني دين محدد، ولم يذكر إله محدد، لأنه وضع نصب عينيه مشروعه التوسعي، لذا تعامل ببرغماتية، وأن تبني دين محدد سيضعف من مشروعه التوسعي. لذا تظاهر بتقديس آلهة المناطق التي خضعت لسيطرته.
- ٤- سار الملك قمبيز على سياسة والده كورش الدينية، فلم يكن على دين معين، فاقتضى الحال أن يُسائر مصالحه بعيداً عن الدين والتدين.
- ٥- ذكرت آلهة أخرى في عهد الملوك الأوائل (دارا الأول، وأحشويرش الأول) ولكن لم تحدد أسماء هذه الآلهة.
- ٦- تغير مصطلح الآلهة الأخرى منذ عهد الملك أردشير الثاني، وسُميت هذه الآلهة بمسمياتها (أهوارمزدا، آناهيتا، ميثرا).
- ٧- منذ عهد الملك أردشير الثاني ارتفعت مكانة الإلهة آناهيتا على بقية الآلهة، وأصبحت الإله الملكية.
- ٨- أختفى اسم الإلهة آناهيتا، منذ عهد الملك أردشير الثالث، وظهر اسم الإلهين أهوارمزدا، وميثرا.

الهوامش والمصادر

- (١) ويليام و. مالاندا ، مقدمه أي بر دين ايران باستان ، ترجمه دكتور خسرو قلى زاده ، چاپ اول ١٣٩١ ، نشر كتاب پارسه ، ص ٧٧.
- (٢) ينظر على سبيل المثال: إيمان لفته حسين الكرعاوي، الدين والسياسة في الدولة الأخمينية (٥٥٨ - ٣٣٠ ق.م.)، أطروحة دكتوراه، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٢م، ص ١٤٩ - ١٥٥.
- (٣) - كلمان هوار ، ايران و تمدن ايراني (ترجمه حسن انوشه)، تهران، انتشارات امير كبير، ١٣٧٩ هـ ش ، ص ٩١
- (٤) ينظر: مري بوييس، تاريخ كيش زردتشت، جلد دوم، ص ٦٩ - ٧٨.
- (٥) لوييس گري، هخامنشيان و دين زرتشت، ص ٢٣.
- (٦) أيها الخالق المقدس للعالم المادي! أين ينبغي لنا نقل أجساد الموتى؟..... هكذا يسأل زرادشت في الفندياد. فيجيب أهوارامزدا: في أعلى مكان يا سببنتاما زرادشت!. وأبراج الصمت: كانوا يجعلون الأجساد في ذرى الجبال العالية ، دون أن يحيطوها بسياج. وحين لا تترك منها الكلاب والنسور وسواها من الجوارح شيئاً غير العظام، وبعد سنة يأخذونها ويحفظونها في فجوات من الحجر. ينظر: جمشيد يوسف، الزرادشتية، ص ١٨١ - ١٨٢.
- (٧) مجيد يزدان برست، از زبان كورش تاريخ ايران باستان از ورود اريايي ها به ايران تا سقوط هخامنشيان، ص ١١٣.
- (٨) همان منبع (أي المصدر نفسه)، ص ٢٣.
- (٩) بريانت ، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية ، ج ١، ص ٢٣٠.
- (١٠) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج ١، ص ١٠٦.
- (١١) تاريخ هيرودوت، ك ٣، فق ١٦.
- (١٢) لوييس گري ، هخامنشيان و دين زرتشت ، ترجمة : حسين حيدري ، رشد آموزش تاريخ ، سال چهارم ، شماره ١٢ ، ص ٢٤.
- (١٣) بروز رجبي، هزاره های كمشده، جاب سوم ، ص ٣٦٨؛ پی بر لو كوك، كتيبه های هخامنشی، ترجمة نازيلا خلخالی، انتشارات كتاب خانه ملی ايران، تهران، ١٣٨٢، بند ٣، ص ٢٧٢.
- (١٤) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج ٢، ص ٥٢٤، ص ٢٤٥، ص ٢٢٦.
- (١٥) (بارديا) بالفارسية القديمة: (بارديا) و (بالإغريقية: سميردس) هو ابن الملك الفارسي الأخميني كورش الكبير والأخ الأصغر ل (قمبباز الثاني) تشارك في البداية بالحكم مع أخيه قمبباز الثاني، ثم اغتصب العرش منه سنة ٥٢٢ ق.م بدعم من قائد المجوس غاوماتا، لكنه بقي ملكاً لبضعة أشهر فقط، قبل أن يخلعه دارا الأول من العرش في السنة ٥٢٢ ق م نفسها.
- (١٦) رالف شارمن شارب، فرمن های شاهنشاهان هخامنی كه به زبان آريايی (پارسی باستان)، مؤسسه فرهنگي وانتشاراتي پازينه، چاپ سوم، (تهران، ١٣٨٨)، ص ١١١.

- (١٧) پرويز رجبى، هزاره هاى گمشده ، اهورامزدا، زرتشت واوستا، جلد أول، انتشارات توس،(تهران، ١٣٨٠)، ص ص ٢٠-٢١. وعن تفصيلات أكثر، ينظر: حوراء كريم محمد التويي، الإدارة والسياسة الأخمينية في عهد أحشويرش الأول ٤٨٦ع - ٤٦٥ق.م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧م، ص ١٠٠- ١٠٥.
- (١٨) رالف نارمن شارب: فرمان هاي شاهنشاهان هخامنش، ص ١٣٨.
- (١٩) رالف نارمن شارب: فرمان هاي شاهنشاهان هخامنش ، ص ١٣٩.
- (٢٠) هي قاعة جمهور كبيرة ورواقاً في بيرسيبوليس وقصر سوزا . وأبادانا تنتمي إلى أقدم مرحلة بناء في مدينة بيرسيبوليس، في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، جزءاً من التصميم الأصلي من قبل الملك دارا الكبير. وأكمل البناء احشويرش الأول.
- (٢١) كريشمن، ايران از اغاز تا اسلام، ترجمة محمد معين، انتشارات علمي وفرهنكي، (تهران، ١٣٧٩)، ص ٣١٩.
- (٢٢) كريشمن، ايران از اغاز تا اسلام، ص ٣١٩؛ وينظر: بريانت، موسوعة، ج٢، ص ١٤٢٦.
- (٢٣) ترجح أن تكون قرب طريق الحلة - بغداد ولا تبعد عن المسيب كثيراً وهذا الموضوع سماه زينفون كوناكسة، ينظر: زينفون، حملة العشرة الأف (الحملة على فارس)، ترجمة يعقوب افرام منصور، موصل ١٩٥٨، ص ٧٢، هامش ١.
- (٢٤) ينظر: بريانت، موسوعة، ج٢، ص ١٣٠٦.
- (٢٥) آتوسا احمدي، علل برجسته شدن ايزاد آناهيتا در زمان أردشير دم هخافشي (٤٠٥ - ٣٥٩ ق.م) ، ص ١٤٦.
- (26) A3pa.
- (٢٧) پرويز رجبى، هزار هاى گمشده، ج١، ص ٣٦١.